أدبُ المقالةِ عند أحمد أمين في كتابهِ (فيض الخاطر)

المدرس المساعد إسراء أبو ضاري شنان

جامعة القادسية / كلية التربية

Israa.shanan@qu.edu.iq

الملخص :

يعد أحمد أمين واحد من أهم الكتاب والمفكرين العرب القلائل الذين درسوا الفكر الإسلامي ومنابعه، وخاضوا في جوانبه ونظرياته ، وقد كان ناجحاً في حياته العلمية ، خلف تراثاً علمياً غزيراً أثّرت تأثيراً واضحاً في الأوساط الثقافية نال بفضلها مكانة بارزة عن طريق آرائه التي عرض لها، وهو إلى جانب كونه مفكراً إسلامياً كان ممن كتب المقالة ،وأبدع فيها، وقد تجلت مؤلفاته في المقالة بكتابه(فيض الخاطر)، وتناول هذا البحث دراسة آرائه، ومقالاته الأدبية ، وإلقاء الضوء عليها ضمن هذا الكتاب ٠

الكلمات المفتاحية : خاطر، أمين ، فيض ، مقال ، أدب

Abstract:

Ahmed Amin is one of the few most important Arab writers and thinkers who studied Islamic thought and its sources, and delved into its aspects and theories. He was successful in his scientific life, leaving abundant scientific writings that had a clear impact on cultural circles, thanks to which he gained a prominent position through the opinions he put forward. In addition to being an Islamic thinker, he was one of those who wrote articles and excelled in them. His writings were evident in the article in his book Fayd al-Khatir. This research is an attempt to study his opinions and literary articles and shed light on them through this book.

Keywords: Hater, Amin, Fad, Article, Literature

المقدمة :

يتناول هذا البحث الحديث عن أدب المقالة عند الكاتب المصري الأستاذ الدكتور (أحمد أمين) في مقـالاته التي جمعـها في كتابه (فيض الخاطر) المكوّن من عشرة أجزاء ، و قد جعلتُ هذا البحث على

محورين: المحور الأول وقفتُه للحديثِ عن نشأةِ المقالة عند أحمد أمين إذ جاء على محاور عديدة كل محور منها يبين مسألة معينة، أما المحور الثاني فتناولتُ فيه الكلام على موضوعات المقالة مع نموذج لكل نوع من مقالاتهِ التي جمعها في كتابهِ (فيض الخاطر)، ثم أردفت المحاور خاتمة تضمنت أهم النتائج التي توصلت إليها الباحثة مع قائمةٍ بالمصادر والمراجع.

المحور الأول : نشأة المقالة عند أحمد أمين .

ينبغي هنا أن نتوقف للحديث عن نشأتها بشكل عام ، إذ يمكن القول إنّ جذور المقالة تبدو بعيدة في التاريخ فشأنها شأن الكثير من الفنون الأدبية التي بدأت مع الانسان ،ومع استعماله اللغة المدوّنة ومحاولته الاعتماد عليها في تسجيل آثاره الوجدانية وتاريخه الروحي، وقد ذهب كثير من الباحثين الى القول بأن المقالة فن مستحدث ظهر في العصر الحديث استجابة لجملةٍ من المؤثرات والأحداث، والظروف الجديدة، إذ إنّنا نميل إلى متابعة جذورها الأولى ومنابعها الفكرية القديمة في التاريخ الإنساني، مع الإقرار بخصوصية المقالة المعاصرة، وتطور عناصرها وأساليبها استجابة لروح العصر بلحاظ طبيعته المختلفة[١].

أما بالنسبة إلى نشأة المقالة عند (أحمد أمين) فينبغي هنا أن نتوقف على قضايا تخصّه منها:

أولاً: أسلوبه في كتابة المقالة .

كانت مقالات احمد أمين فيها نوع من الحديث الهادئ بعضها يأتي سهل الجريان من دون توقف حتى يكاد يسبق فيه يد الكاتب، فإذا وصل به الموضوع إلى النهاية الطبيعية توقف لا يزيد شيئاً، وكان يعلق على هذا النوع بقوله حين يصف المقالة: (كانت حرفتها خفيفة)، وأما بعضهم الآخر من مقالاته ،فكان يجيء متأنياً من دون اندفاع وفيه شيء من الإجهاد الذهني في بعض الأحيان، وكثيراً ما كانت

تعييه الجملة، وهو يتعقبها في شرود سابح هائم، وفي لفافة من التبغ يشعلها من لفافة أخرى، وقد أخذت يده ترتفع مرتعشة في الهواء ويده ترسم إشارات، وتتحرك حركات مبهمة كأنّما يستعين بها على اقتناص العبارات الشاردة، وكان يتعب ويجهد أحياناً من جلسته متربعاً في غير تشدد على (الكنبة) يمشي في أرجاء الغرفة من دون أن يتوقف عن الإملاء، وهذا التمويه وراء العبارات لا يعني أنّه كان يتحرى التأثير الجمالي في ما يكتب وإنّما كان يغير عبارة سهلة ويضع في مكانها تعبيراً تصويرياً أو مجازياً[٢].

وفي حديث للدكتور إحسان عباس عن أحمد أمين، قال فيه: ((لقد كان في تلك الأيام يشكو غلبة الحزن على نفسه ومع ذلك، فإن المرارة والحزن لم يحرما الكاتب ومضات من الفكاهة، وهذا موطن يستحق أنْ نتوقف عنده، فقد كان (رحمه الله) طيّب الفكاهة بارعً في النكتة أثناء محاضراته وفي مجالسه، وأظنه لو خلّى نفسه على سجيتها لامتلأت مقالاته بروح فكاهية عذبة، و الكتابة لديه كانت تقوم على الاختيار، وكان جادًا حرجًا في اختياره، ولقد أذكر أنّه أملى عليَّ مرة مقالاً في موضوع البطولة والأبطال، وكان من الموضوعات المحببة إليه ، ثم ختمها المقال بنكتة طريفة وبعد أن أسمعته ما أملاه، قال: احذف الفقرة الأخيرة فإنّها غير منسجمة مع الموضوع))[٣].

ويتميز أسلوب أحمد أمين بأنه كان جانب العقل فيه يطغي على العاطفة، وهو يتلقى الحياة بعقله وتفكيره ولا يلتهمها بقلبه وشعوره، وهو من أصحاب المعاني لا من أصحاب الألفاظ ؛ولذا أمتاز أسلوبه بالوضوح في التعبير، والدقة في الوصف، والإيجاز في العرض على طريقة الكُتّاب الذين يستمدون صورهم من واقع الحياة البسيطة التي يحيونها، وهو في حرصه على تصوير الواقع لا يستنكف عن استعمال الألفاظ العامية، والتعبيرات الإقليمية التي يظهر أنه كان مفتوناً بها حتى أنه أفرد لها أحد كتبه.

وفي أسلوب أحمد أمين قال الزّيّات: ((كان همّه من الكتابة أن يقرر، ويقنع لا أن يؤثر ويمتع، ولعل منشأ ذلك فيه أنّ عقله كان أخصب من خياله، وأنّ علمه كان أكبر من فنّه، وأن حبّه للحرية والصراحة كان يحبب إليه إرسال النفس على سجيتها من غير تمويهها بوشي خاص ،ومع ذلك كان لأسلوبه طابعه المميز وجاذبيته القوية تقرأه، فلا تروعك منه الصورة البانية الأخاذة ، ولا الآلات الموسيقية الخلابّة، وإنما تروعك فيه المعاني المبتكرة الطريفة، والآراء الصريحة الجريئة، والشخصية القوية المهيمنة، فأنت منه بإزاء عالم يبحث لينتج، أو مصلح يصف ليعالج لا بإزاء مصور يلون ليعجب، أو موسيقار يلحن ليطرب))[٤].

ثانياً: تواريخ عنوان المجلات والصحف التي نشر فيها أحمد أمين مقالاته في كتابه (فيض الخاطر) وتواريخ نشرها:

نشرت معظم فصول الجزء الأول في دوريات: السفور في ١٩١٨/٩/٥م، وفي الرسالة من ١٩٣٣/١/١٥ الى ١٩٣٧/٩/٦ على مُدَدٍ زمنيةٍ غير منتظمة وفي الهلال من ١٩٣٥/٤ إلى ١٩٣٨/٤م على مُدَدٍ غير منتظمة[٥].

نشرت معظم فصول الجزء الثاني في دوريات الرسالة في ١٩٣٤/٣/١٢ و١٩٣٦/١٢/١٧ ،و١٩٣٧/٤/٥، و١٩٣٧/٦/٢٨، ١٩٣٧/٧/١٩م، وفي الثقافة من ١٩٣٩/١/١٠ إلى ١٩٤٠/٩/٣م على مُدَدٍ غير منتظمة[٦].

نشر أكثر فصول الجزء الرابع في دوريات الرسالة في١٩٣٣/٧/١ ، ١٩٣٣/٧/١٥ و١٩٣٣/٨/١٥ و١٩٣٣/٩/١م، وفي السياسة الاسبوعية في ١٩٣٧/٤/٣ وفي الثقافة من ١٩٤٢/٣/٣م إلى ١٩٤٣/١/١٢م على مُدَدٍ زمنيةٍ غير منتظمة وفي مجلة كلية الآداب في ١٩٤٢/٥م[٧].

نشرت معظم فصول الجزء الخامس الثقافة من ١٩٤٣/١/١٩ الى ١٩٤٤/٣/٧ على أوقات متفاوتة متباينة غير منتظمة[٨].

نشرت معظم فصول الجزء السادس في دوريات الثقافة من ١٩٤٤/٣/١٤ إلى ١٩٤٥/٩/٤م بمدد وأوقات غير منتظمة، وفي المكشوف في ١٩٤٤/٦/١٢ وفي عصور في ١٩٤٥/١/١٢م وفي الاثنين في ١٩٤٥/٣/١٢م و١٩٤٥/٤/١٣ و١٩٤٥/٦/٤ و١٩٤٥/٦/١٣م[٩].

نشرت معظم فصول الجزء السابع في الثقافة من ١٩٤٥/٨/٧ الى ١٩٤٧/٧/١م على مُدَدٍ غير منتظمة[١٠].

نشرت معظم فصول الجزء الثامن في دوريات الثقافة من ١٩٤٨/٢/١٠ إلى ١٩٥٠/٥/٢٢م لم يكن صدورها منتظمًا، وفي الهلال من ١٩٤٨/٤ الى ١٩٤٩/١٢م على فترات غير منتظمة[١١].

نشرت معظم فصول الجزء التاسع في دوريات الثقافة من ١٩٥٠/١١/٢٠ إلى ١٩٥٢/٢/٢٢م ولم تكن مواعيد نشرها منتظمة وفي الهلال من ١٩٥١/٢ الى ١٩٥٤/٥ وكانت هي الأخرى غير منتظمة الأوقات وفي الوادي في ١٩٥٢/٩/٣١ و١٩٥٣/٧/٣ و١٩٩٣/٩/١٨ و١٩٥٣/١٢/٢٥م[١٢].

نشرت معظم فصول الجزء العاشر في دوريات الرسالة من ١٩٣٣/١٢/١٥ إلى ١٩٣٦/٤/٢٧ووضح عليها عدم انتظام مواعيد نشرها وفي الهلال من ١٩٣٥/١١ إلى ١٩٤٧/٥ على مُدَدٍ غير منتظمة وفي الثقافة في ١٩٣٩/٩/٢٦ و١٩٤٨/٤/٢٠، وفي الأديب في ١٩٤٥/٥م وفي الكتاب في ١٩٤٦/٦/٤ وفي الآداب في ١٩٤٧/٩/٥م وفي مجلة مجمع اللغة العربية المجلد ٧/ (١٩٤٩)، والمجلد ٩/ (١٩٥٣)، وفي الأزهر في ١٩٥٣/١٠م[١٣].

ثالثاً: مقالات أحمد أمين التي نشرت في مجلة الرسالة .

في البدء ينبغي الإشارة إلى أن مجلة الرسالة هي مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون مديرها ورئيس تحريرها الكاتب أحمد حسن الزيات ،أما مقالات أحمد أمين ،فهي كالآتي: [١٤]

١-الجديد في الأدب: نشرت في العدد السابع (القاهرة في يوم السبت ٢٠ ذي الحجة سنة ١٣٥١هـ-١٥ أبريل سنة ١٩٣٣م)، ص٣.

٢-من دون عنوان: نشرت في العدد الثامن (القاهرة في يوم الإثنين ٢٠ محرم سنة ١٣٥٢هـ-١٥ مايو سنة ١٩٣٣م، ص٥.

٣-أدب القوة وأدب الضعف: نشرت في العدد التاسع (القاهرة في يوم الإثنين ٢٠ محرم سنة١٣٥٢هـ_١٥ مايو سنة ١٩٣٣م) ،ص:٥

٤-أدب اللفظ وأدب المعنى: نشرت في العدد الحادي عشر (القاهرة في يوم الخميس ٢٢ صفر سنة ١٣٥٢هـ-١٥ يونيه سنة ١٩٣٣م) ،ص١٠.

٥-الكم لا الكيف: نشرت في العدد الثاني عشر (القاهرة في يوم السبت ٨ ربيع أول سنة ١٣٥٢هـ- أول يوليو سنة ١٩٣٣م، ص٧[١٥].

٦-التجديد في الأدب: نشرت في العدد الرابع عشر (القاهرة في يوم الثلاثاء ١٠ ربيع الثاني سنة ١٣٥٢هـ- أول أغسطس سنة ١٩٣٣م)، ص٧[١٦].

٧-الإشعاع: نشرت في العدد الخامس عسر: (القاهرة في يوم الثلاثاء ٢٤ ربع الثاني سنة ١٣٥٢هـ- ١٥ أغسطس سنة ١٩٣٣م)، ص٧ [١٧].

٨-بين اليأس والرجاء: نشرت في العدد السادس عشر، (القاهرة في يوم الجمعة أول سبتمبر سنة ١٩٣٣م، ١ جمادى الأولى سنة ١٣٥٢هـ) ،ص٧[١٨].

٩-القلب: نشرت في العدد السابع عشر (القاهرة في يوم الجمعة ٢٥ جمادى الأولى سنة ١٣٥٢هـ- ١٥ سبتمبر سنة ١٩٣٣م)، ص٧[١٩].

١٠-سيبويه المصري: نشرت في العدد السابع عشر (القاهرة في يوم الجمعة ٢٥ جمادى الأولى سنة ١٣٥٢هـ ١٥ سبتمبر سنة ١٩٣٣م) ،ص٧[٢٠].

١١-الرأي والعقيدة: نشرت في العدد التاسع عشر: (القاهرة في يوم الأحد ٢٥ جمادى الآخرة سنة ١٣٥٢هـ-١٥ أكتوبر سنة ١٩٣٣م)، ص٧[٢١].

١٢-حول الحر: نشرت في الثامن والخمسون (القاهرة في يوم الاثنين ٣ جمادى الأولى سنة ١٣٥٣هـ- أغسطس سنة ١٩٣٥م، ص١٣٢٣هـ- ١٣ أغسطس سنة ١٩٣٤م)، ص١٣٢٣[٢٢].

١٣-الشخصية: نشرت في العدد السابع عشر (القاهرة في يوم الاثنين ١٧ جمادى الأولى سنة ٣٥٣هـ- ٢٧ أغسطس سنة ١٩٣٤م)، ص١٤٠٣[٢٣].

وبعد هذا كوله يمكن القول لقد ارتكزت شهرة (أحمد أمين) الأدبية أساساً على كتابة (المقال) الذي يمثل أغزر إنتاجه الأدبي فظّل يمارس كتابة هذا النوع أو الجنس من فنون الأدب من سنة ١٩١٨م حين شارك في تحرير جريدة (السفور) إلى أنّ توقف عن الكتابة قبيل وفاته في سنة ١٩٥٤م، وأثناء هذه المدة

كتب أحمد أمين بعد السفور بغير انتظام في بعض المجلات كالمصور ،والهلال، أما كتابته المنتظمة فقد كانت في (الرسالة) ،ثم في الثقافة ولمّا فكّر الزيات في إنشاء مجلة الرسالة سنة ١٩٣٣م شاركه في الكتابة فيها بعض من أصدقائه في لجنة التأليف والترجمة والنشر، وكان من بين هؤلاء أحمد أمين الذي كان يكتب فيها مقالاً أسبوعياً، وحين أرادته لجنة التأليف والترجمة إصدار مجلة أدبية على غرار الرسالة باسم (الثقافة) عهدت تحريرها والإشراف عليها إلى (أحمد أمين) الذي كتب فيها بانتظام منذ صدور عددها الأول في الثالث من يناير سنة ١٩٣٩م إلى أن توقفت عن الظهور في أواخر عام ١٩٥٢م، ولقد جمعت معظم مقالات أحمد أمين التي كتبها في المجلات المختلفة في كتاب بلغ عشرة أجزاء وهو (فيض الخاطر)[٢٤] .

المحور الثاني : موضوعات المقالة عند أحمد أمين .

١-مقالة النقد الاجتماعي: ويطلق عليها بعض النقاد والدارسين مسمى آخر وهو مقالة (الإصلاح والمصلحين) ونحن نلاحظ على هذا النوع المقالي كل زمن له مشاكله وقضاياه التي يقف أمامها كاتب المقالة الاجتماعية موقف المصلح، وقوام هذا النوع من المقالات نقد العادات الساخرة، والتقاليد البالية التي ترسبت في المجتمع على مدى الدهور، ولا يعي الأزياء الطارئة والبدع المستحدثة من سخريتها وعيشها، والمسّوغ الطبيعي لذيوع مثل هذا النوع من المقالات في مجتمع ما، هو ما يطرأ عليه من مستحدثات الحضارة في الأزياء، والعادة ووسائل اللهو، والتسلية فلا عجب إذا رأينا أكثر كُتّاب المقالة كأحمد أمين يسعون إلى كتابة هذا النوع من المقالات وخير ما يمثلها مقالته التي وسمها ب (سلطة الآباء)[٢٥].

فمقالة (سلطة الآباء) يتكلم فيها أولاً عن ذلك الزمان الذي كان فيه الأب هو الآمر الناهي في الأسرة، والحاكم المطلق في شؤون أفرادها كلّها، من دينية ودنيوية، ثم ينتقل إلى الكلام عن هذا الزمان

الذي صار فيه الأبناء آباءً والمرؤوس رئيساً، والرئيس مرؤوساً، وعرض لمشكلة لابد من أنْ تحدث في كل أسرة مشكلة زواج الفتى والفتاة، وشرح المطالب الفادحة والشروط القاسية التي تتقدم بها الزوجة بأسلوب فاخر فكه، يبين مدى الفرق بين الزواج العصري، والزواج القديم ثم تحدث عن حياة هذه الأسرة الجديدة، حين عمر بيتها البنون والبنات[٢٦]، فقال: ((وشاء الله أن يرزقا بنين وبنات، وقد رأوا أن الأمَّ لا تُجلُّ الأب فلم يُجلّوه، ولم تعره كبير التفات، فلم يعيروه ورأوها تبذر في مال الأب فبذروا ورأوها حرة التصرف، فتحرروا ورأوها تخرج من البيت من غير أذن الأب فخرجوا خروجها، وتعود متى شاءت ففعلوا فعلها، ورأوها لا تتدين فلم يتدينوا، ورأوها تتكلم في المسائل الدقيقة أمام أبنائها ،وبناتها في صراحة فتفتحت شهواتهم وتحركت رغباتهم وجمحت تخيلاتهم))[٢٧].

فمقالة سلطة الآباء من أجمل ما كتب (أحمد أمين) حيث يجسد الكاتب شخصية الأب أو الجد في الماضي مبيّنًا حرصهم على القيم الاجتماعية، والدينية فصور سلوك الأب تجاه الأسرة فقال: ((فقد خلا الأب يوماً إلى نفسه، وأطال النظر في يومه وأمسه، فبكى على أطلال سلطته المنهارة ،وعزته الزائلة ،ورأى انهم خدعوه بنظرياتهم الحديثة، وتعاليمهم الجديدة. قال: لقد قالوا إنّ زمان الاستبداد قد فات ومات، فلا استبداد في البيت إنّما هناك ديمقراطية في كل شيء، فيجب أن يكون البيت برلمانً صغيرً يسمع فيه الأب رأي أبنه ،ورأي بنته ورأي زوجته، وتؤخذ الأصوات بالأغلبية في العمل وفي المال وفي كل شيء، وقالوا: تنازل عن سلطتك طوعاً وإلاّ تنازلت عنها كرهاً، وقالوا: إنّ هذا أسعد للبيت وأبعث للراحة والطمأنينة أيتها الزوجة ويا أيها الأبناء والبنات! ارحموا عزيز قوم ذل!))[٢٨]، تكلم أحمد أمين في المقطع الفائت كيف إنّ الأب وقف يوما" وأطال النظر في يومهِ وأمسه فوجد إنّ سلطته لقد انهارت فذهب زمن الاستبداد الذي كان فيه الأب هو المسيطر الوحيد على عائلته، فقد ذهب هذا الزمان وحلّ محله زمن التطور ،والديمقراطية فصار يستمع الى رأي أفراد أسرته ويتحاور معهم في كل شيء .

٢-المقالة الوصفية: ويعني بهذا النوع من المقالة التعبير الدائر على الوصف سواء كان وصفاً لأحد مشاهد الطبيعة ،أو ربما يكون وصفً لانعكاسات الحياة في نفس الكاتب، أو وصف" لعالم جديد لم يسبق لكاتب المقالة أنْ عاش فيه وينقسم هذا النوع من المقالة إلى ثلاثة أقسام هي :المقالة الوصفية الطبيعية، والمقالة الوصفية الذاتية، والمقالة الوصفية الخارجية[٢٩].

وتُمثّل مقالات أحمد أمين الوصفية افضل ما يكون في أدبنا ومن أمثلة المقالة الوصفية عنده مقالة (وحي البحر) فقال: ((على صخرة مشرفة على البحر في المكس جلست وحدي، وقد تؤنس الوحدة مالا يؤنس الجمع، ولكن هذا لا يكون حتى تتخذ من نفسك صديقاً، وليس ذلك بالأمر اليسير، فكثير من الناس اتخذوا من أنفسهم عدواً يتناولونها دائماً بالنقد ،والتجريح ويصغرون ما تأتي به من أعمال، ويحقرون ما يصدر عنها من آراء، وينظرون اليها نظرة ذلة وحقارة فاذا هم وأنفسهم أعداء، يهربون منها كما يهربون من خصومهم ،ولا يستطيعون أنْ ينفردوا بها طويلاً كما لا يستطيعون أن يجالسوا أعداءهم طويلاً، فيلجأون إلى الأصحاب، فان أعوزهم الأصحاب لجأوا إلى كتاب، فإنْ لم يجدوا كتاباً فإلى أي شيء إلا أنفسهم))[٣٠].

في هذه المقالة تجد مدى دقة الكاتب أحمد أمين في اختياره لعباراته ومن ثم في موضع آخر من المقالة نجده يصف البحر فقال: ((هذا هو البحر بجماله وجلاله، وديع حتى ليلعب به طفل، جبار حتى يرتعد منه أسطول صورة صادقة من صور الزمان في إقباله ،وتجهمه وابتسامه وعبوسه ومده وجزره ولينه وشدته جلست امامه يوماً إلاّ شعرت بلذة اليمة، أو ألم لذيذ أما اللذة فالجمالة وكل جميل يبعث السرور، ويُحيي الأول وينعش وأما الألم فالجماله وأما الجلي تتخاذل النفس وتشعر بضعفها في جانب عظمته وتفاهتها بجانب جبروته، وحقارتها بجانب جلالته، وفنائها بجانب أبديته))[٣١]، تحدث (أحمد أمين) في المقطع الفائت عن جمالِ البحر ، فذهب إلى أنّ البحر بجمالهِ ،وجلاله بينها جناس ناقص يعطي نغمة

موسيقية تطرب الأذن وتُمتّع النفسّ هذا هو البحر يجعلك تشاهد البحر معه(بجماله، وجلاله)، والجلال العظمة وديع هادئ لدرجة يلعب به الطفل، جبار حتى لا يرتعد منه أسطول بين هاتين الجملتين مقابلة ، والجبار العاتي الذي لا يعرف الرحمة، صور الأسطول كأنه شخص يرتعد هو صورة صادقة من صور الزمان وسر جمالها التشخيص فيها استعارة مكنية صور الصورة كأنها إنسان يقبل، وكذلك التجهم: معناه العبوس الظهور بوجه كريه، فذهب إلى القول :إنّك عندما تجلس أمامه في أي وقت تشعر بألم لذيذ وهكذا يتحدث أحمد أمين عن البحر ويسترسل في الحديث عن هذه المقالة (وحي البحر) ثم يختم مقالته قائلاً: ((ثم ماذا؟ وجاء موجه عالية فلطمت الصخرة لطمة قوية أصابني رشاشتها، فتنبهت من أحلامي وعدت من حيث أتيت!))[٣٢].

٣- **مقالة وصف الرحلات:** وهذا النوع من المقالات قيمتها متأتية من أنها تصور لنا تأثر الكاتب بعالم جديد لم يألفه والانطباعات التي تركها في نفسهِ ناسه، وحيواته، ومشاهده الطبيعية واثاره فهي بهذا مغامرة ممتعة تقوم بها روح حساسة في أمكنةٍ جديدة وبين أناس لم يكن لها بهم سابق عهد ومعرفة بمقالةِ (وصف الرحلات) وكلما كان الكاتب عميقاً في إحساسه دقيقاً في تصويره ازدادت متعة القارئ بما يقرأ ومحاولته إعادة تشكيل التجربة التي مر بها الكاتب في نفسه[٣٣]، ومن أمثلة هذا النوع من المقالةِ عند أحمد أمين مقالته التي بعنوان (رحلة)، إذ يبدأ المقالة مخاطباً رفيقه الأديب (طه حسين)، قائلاً: ((وأنا رحلت يا أخي طه كما رحلت فراراً من تقاليد العيد التي أفسدت العيد ، فأصبح المرء لا يستطيع فيه أن يخلو إلى نفسهِ ، ولا إلى أهلهِ ولا على أصدقائهِ، وإنما هو يستقبل أناساً في تكلفٍ وتصنع ويتحدث إليهم في تكلفٍ وتصنع ، ويقضي نهاره و جزءًا من ليله زائرًا ، أو مزورًا متلقيًّا بطاقات ردًا على بطاقات؛ متقبلاً تحيات ، رداً على تحيات؛ فلا يفرغ العيد إلاّ وقد فرغ من نفسهِ، وأضناه التعب، وانهدّت أعصابه وضعفت قواه))[٣٤]،

في المقطع الفائت يتكلم أحمد أمين إلى الأديب طه حسين عن التفاصيل التي حدثت معه بما فيه ، وأنا رحلت يا أخي هروبًا من تقاليد العيد التي أفسدت العيد، وكيف أنَ الإنسان أصبح من المستحيل أنْ ينفرد بنفسهِ، أو أصدقائه، أو أهله ... ويسترسل الكلام ليقول ما أنْ يخلص العيد فتجلس ،وتفرغ إلى نفسك لتنظر فترى إنَّ أعصابك انهدت، وضعفت قواك الجسمية والعقلية فمن يقرأ هذه المقالة يرى بوضوحٍ تام ما نقصده بمقالةِ وصف الرحلات فمن حديث الكاتب (أحمد أمين) إلى رفيقهِ طه حسين عن تفاصيل حدثت معهما نقلها لنا بصورة جميلة، وأسلوب يشد القارئ إلى متابعة القراءة من دون ملل ،أو كلل ،وهذا هو الطابع الغالب على مقالات أحمد أمين الأدبية الذاتية التي تندرج مقالة الرحلة هذه ضمنها.

ثم يتوجه بخطابه مرة ثانية معبرًا عما يريده هو وصديقه الأديب (طه حسين) بصفة خاصة، قائلاً:((إذاً فنحن نريد مكاناً نستطيع أنْ نستريح فيه من أعمالنا ونبعد فيه عما يصدمنا من أخبار، وأحداث سياسية واجتماعية، ونبعد فيه عن الناس ؛لأنهم مصدر قلق دائم، ونقرب فيه من الطبيعة ؛ لأنها مصدر الراحة ،والطمأنينة ،والشعور بلذة الجمال الذي يسمو عن الغرض إلى دير ممن في الصحراء بين الجبال الشامخة، ومنظر الطبيعة القاسية، والطبيعة الجميلة، والطبيعة القوية بالقاهرة))[٣٥]، والمتأمل لهذا المقطع الفائت من المقالة يرى أنّ الكاتب(أحمد أمين) كان يشعر بالملل، والتعب فهو يبحث عن مكان يستريح فيه فيخاطب رفيقه، قائلاً: نريد مكاناً نستطيع أنْ نستريح فيه من الأعمال التي كانا يقومان بها كذلك البعد عن سماع الأخبار السياسية ،والاجتماعية ،فكانت تشكل صدمة لهما ،والبعد عن الناس بوصفهم مصدر قلق دائم ،وإزعاج مستمر، ولنقترب من الطبيعة ؛لأنها مصدر راحة، وطمأنينة حيث الشعور بلذة الجمال المتواجد في دير الصحراء ،والنظر إلى الجبال الشامخة منتهى الروعة ، والبعد كذلك عن الطبيعة القاسية ،والقوية في القاهرة.

في هذه المقالة يصف لنا الكاتب (أحمد أمين) رحلة قام بها هو وصديقه الأديب (طه حسين) وطريقة اختياره للمكان الذي يريد أن يذهب إليه هو ورفيقه الذي يدعوه ويطلق عليه لفظة يا أخي و يستسرل في الحديث إلى أن يختم مقالته، قائلاً: ((وعدنا كارهين للعودة يا أخي كما كرهتها وعدنا للإنسان عودة الراهب لسماع الراديو، وعدنا نتعاون في إنشاء المدارس ،وتكوين وزارة المعارف، ونبدأ من حيث انتهينا فإلى اللقاء))[٣٦]، فنلاحظ في هذا المقطع من المقالةِ كيف وصف لنا أحمد أمين عودته من الرحلةِ بأنه كارهًا العودة كما قال لطه حسين يا أخي نحن كارهين العودة إلى ما كان عليه من قبل الرحلة من ممارسة الأعمال التي كنا نقوم بها فلنرجع ونتعاون في إنشاء المدارس ،وهكذا كان أحمد أمين في كتاباته لها النوع من المقالة (وصف الرحلات) ينتقي دائمًا الموضوعات التي تلامس المشاعر الإنسانية ،ويجذب القارئ إلى الانتباه ويحثه على القراءة عن طريق أسلوبه الذي يمتاز بقوة العبارة ،وتماسكها ،وعمقها، وتفردها .

٤- **مقالة الشخصية:** وهذا النوع من المقالات هي التي تقف عند شخصيات عرفها المقالي، أو سمع عنها، أو قرأ ورغب في رسم ملامحها معبرًا عن خلجات مصورة مالها من مزايا، وعيوب تكون مقتربة من القصةِ، وآخذة من المشهد المسرحي وروح الشعر، أو هي المقالة التي تتعمد الغوص في الشخصياتِ بصرفِ النظر عن اختصاصها التي تستعير من الأنواعِ الأدبية المجاورة بعض سماتها لتشكل النص الذي يترجم فيه الكاتب صورة إنسان حي أو ميت، لتكشف عن تأثيرها في المسار الفكري، والإنساني، والأدبي ،والسياسي ، وجوانب التفوق ،والإخفاق عند الكاتب علاوة على رأي النقاد فيه ،وصورته في عصرهِ ،وأبرز كُتّاب هذا النوع المقالي إبراهيم عبد القادر المازنّي، وعباس محمود العقّاد، وعبد العزيز البشري، ومحمود تيمور، ومحمد رجب البيومي ،وعلي جواد الطاهر في مقالاتهِ الجواهريّ وحده، ويوسف الصائغ، ومحمد

عوض محمد[٣٧]، ومن الأمثلة على النوع من المقالة الشخصية عند الكاتب (أحمد أمين) مقالة له بعنوان (جمال الدين الأفغانيّ) في هذه المقالة بدأ أحمد أمين ، قائلاً: ((يعجبني أحياناً طريقة القدماء في ترجمة العظماء، فاختفي المترجم، ويظهر المترجم ويكتفي بذكر الأحداث التي حدثت للعظيم، وتصرفه فيها والكلمات التي فاه بها ونحو ذلك، ويترك القارئ يفهم منها ما شاء ، ويستنتج منها ما شاء ويقوم ما يشاء لا يملي شرحه وتفسيره ،ولا يفرض على القارئ فهمه، ولا يتحكم هو في رسم الصورة التي يراها وذلك ما فعل الأصفهانيّ في الأغاني، وياقوت في معجم الأدباء ،وابن خلكان في وفيات الأعيان وغيرهم من مؤرخي العرب)).[٣٨] في المقطعِ الفائت من المقالةِ تكلم (أحمد أمين)عن المفكر الإسلامي ،والناشط السياسي (جمال الدين الأفغانيّ) ، فقال: تعجبني طريقة القدماء في ترجمةِ العظماء فهو لَمْ يتكلم عن حياتهِ فجمال الدين الأفغانيّ شخصية سياسية معروفة ،وإنَّما أكتفى بذكر الأحداث التي حدثت معه ليترك المجال للقارىء ليفهم منها ما يشاء ، ويستنتج منها ما يشاء، ويقوم مايشاء، ولايفرض على القارىء فهمه متبع في ذلك طريقة (أبي الفرج الأصفهانيّ) في كتابهِ الأغاني ،و(ياقوت الحمويّ) في كتابهِ معجم البلدان ،والقاضي(ابن خلكان) صاحب كتاب وفيات الأعيانِ وأنباءِ أبناءِ الزمانِ ، وغيرهم من مؤرخي العرب.

ولقد تحدث أحمد أمين في هذه المقالة وذكر الروايات التي قيلت في شخصيةِ جمال الدين الأفغانيّ فذهب أحمد أمين في هذه المقالة ،قائلاً عمّا قرأ عن جمال الدين الأفغانيّ: ((وقد قرأت في هذه الأيام ترجمة للسيد جمال الدين من هذا القبيل، اكتفى فيها المترجم غالباً بنقل آراء الأستاذ ،وأقواله ،وأحداثه، وجعل ذلك كله يصوره كما يشاء القارئ ، وقد استوقف نظري بعض أحداث ، وأقوال أرويها كذلك من غير تعليق))[٣٩]. في هذا المقطع الفائت من المقالةِ نلاحظ لقد أكتفى الكاتب أحمد أمين بذكر ما قيل عن جمال الدين الأفغانيّ ، وما قرأه هو من تراجمٍ تناولت الحديث عن هذهِ الشخصية السياسية المعروفة ، وهذا يعزز

ما ذكرناه سابقاً عند التعريف بمفهوم المقالة الشخصية عندما قلنا هي: نوع من المقالاتِ تقف عند شخصيات عرفها المقالي ،أو سمع عنها، أو قرأ ورغب في رسم ملامحها معبراً عن خلجاتِ نفسه مصورة مالها من مزايا، وعيوب تكون مقتربة من القصةِ ، وآخذة من المشهد المسرحي وروح الشعر؛ فالقارئ لمقالة أحمد أمين الموسومة بجمال الدين الأفغانيّ يجده قد طبق كل ما قيل في مفهوم المقالة الشخصية .

٥-**المقالة الذاتية:** وهي التي يطلق عليها بعض النقاد تسمية (المقالة الأدبية) وحجتهم في ذلك أنّ الأدب يعبر عن ذاتِ الأديب في المقام الأول، وارتبط هذا النوع من المقالات بذاتِ الأديب أي صبغه بمزايا خاصة به، إذ تبدو فيه شخصية الكاتب واضحة، ويفيض أسلوبه بالعاطفةِ ويستند إلى الصورةِ الخيالية، أو الصور البديهية ويزخر بالألفاظ القوية، والكلمات الجزيلة، إذ نلاحظ أنّ المهم في المقالة الذاتية أنّها تكون نابعة من الذات المبدعة لتتجه نحو الذات المتلقية في رؤية تبادل فيها الكاتب المقالي (الحوار)، وخبرته مع الآخرين، ويكون هدفه هو الرغبة في الاتصال، وإدامة الصلة الثقافية والأدبية، ومن أهم كُتّاب المقالة الذاتية في الأدب العربي الحديث إبراهيم عبد القادر المازنيّ في (صندق الدنيا) ، وأحمد أمين في كتابهِ (فيض الخاطر)، ومحمود تيمور في كتابهِ (وميض الأمل)، والكاتب زكي نجيب محمود في (جنة العبيط)، وزكي مبارك في (ليلى المريضة في العراق)، والدكتور علي جواد الطاهر في مقالته (من أنا) وغيرهم[٤٠].

ومن الأمثلة على المقالة الذاتية عند الكاتب أحمد امين مقالته التي بعنوان (فن السرور) أول شيء تلاحظه في هذهِ المقالة المقدمة التي يتكلّم فيها أحمد أمين عن هذهِ النعمة التي منحها الله إلى الإنسان وعن مظاهرها في مشاهد الطبيعة وفي حياة الإنسان، ويقرر أن السرور لا يعتمد على الظروف الخارجية، بل يعتمد على النفس ،وقدرتها اجتلاب السرور[٤١]، فنجده قائلًا : ((نعمةٌ كبرى أَنْ يمنح الإنسان القدرة

على السرور يستمتع به إنْ كانت أسبابه ويخلقها إنْ لَمْ تَكُنْ، يعجبني القمر في تقلده هالة جميلة تشع فنًّا ، وسرورًا ، وبهاءً ، ونورًا ويعجبني الرجل، أو المرأة الذي يخلق حوله جواً مشبعاً بالغبطة، والسرور ، ثم يتشرّبه فيشرق في محيّاه، ويلمع في عينيه ويتألق في جبينه ، ويتوقف من وجهه يخطأ من يظن أنّ أسباب السرور كلها في الظروف الخارجية فيشترط ليسر مالاً وبنين ،وصحة فالسرور يعتمد على النفسِ أكثر مما يعتمد على الظروف، وفي الناس من يشقى في النعيم، ومنهم من ينعم في الشقاء، وفي الناس من لا يستطيع أنْ يشتري ضحكة عميقة بكل ماله وهو كثير، وفيهم من يستطيع أَنْ يشتري ضحكات عالية عميقة واسعة بأتفه الأثمان وبلا ثمن))[٤٢]، ونجده بعد ذلك يعرض لنا في مقالتهِ (فن السرور) أسباب قلة السرور في مصر، والشرق عامة ، ومحاولته تقليله ورده الى أسبابه النفسية في أممِ الشرق، ثم تلك المقارنة التي عقدها بين أمم الشرق ،وأمم الغرب من حيث تكوين النفسيات ،والظروف الخارجية ،والداخلية التي تترك أثرها في ذلك[٤٣]، وأخيراً نجده في خاتمة المقالة قد بسط فيها الوسائل التي يستطيع بها الإنسان أَنْ يتغلب على مصاعبه، فيخلق هالة من السرورِ تحيط بهِ ، وقد جعلها على صورةِ دروس يتلقّاها الإنسان ليجعل من حياتهِ سرورًا دائمًا ومرحًا مقيمًا [٤٤].

الخاتمة

في الختامِ لابد لنا من خلاصةٍ لأهم النتائج التي توصلت إليها، التي كان من أهمها :

١- إنَّ أحمد أمين كان ذو مواهب عدة، وكان ناجحاً في ميادين مختلفة فكان قاضيًا، وأستاذًا، وكاتبًا، وصحفيًّا، ومصلحًا اجتماعيًّا، ومربيًّا، وإداريًّا وباحثًا لغويًّا وأدبيًّا، فضلاً عن ذلك كله كان مؤرخًا متميزًا ،ومطلعًا على التراث الإسلامي، والتراث الغربي.

٢- إذا رجعت إلى مقالات أحمد أمين في كتابهِ (فيض الخاطر) وجدتها ذات عناية خاصة بأدب الشعب، وحياة الشعب، ولغة الشعب، وكل ما يتعلق بتطوره وفنونه.

٣- لقد كانت مقالات أحمد أمين في كتابهِ (فيض الخاطر) يشوبها طابع الجفاف تشبه إلى حدٍ كبير مقالات عباس محمود العقّاد، إذ نجده يفرق بين ضربين من المقالةِ ضرب غايته أنْ يعلم ، وضرب غايته أن يكون ويخلق نصًّا أدبيًّا، وقد أراد أحمد أمين عن طريقِ مقالاته في (فيض الخاطر) أنْ يضرب بسهمٍ في المقالةِ الأدبية التي يكون الإنشاء الأدبي غايتها، ولكن غلبة النزوع العقلي عليه، وقصور الخيال لديه لم يبلغا بهِ ما أراد؛ ولذلك بقيت مقالاته في حيزِ التعليم، وبسط الأفكار إلّا قليلاً منها.

الهوامش

(١) ينظر: فن المقالة (أصول نظرية وتطبيقات): صالح أبو إصبع، محمد عبيد الله، ط٢٠٠٨، ص١٤.

(٢) ينظر: من الذي سرق النار، (خطرات في النقد والأدب)، د. احسان عباس، جمعتها وقدمت لها: د. وداد القاضي، (د. ط، د.ت) ص٤٣٨.

(٣) المصدر نفسه، ص٤٤١.

(٤) أحمد أمين بقلمه وقلم أصدقائه، أحمد زكي، أحمد أمين الصديق .، ط القاهرة ١٩٥٥، ص١٦-١٧.

(٥) ينظر: أعلام الأدب المعاصر في مصر، ج٤، أحمد أمين، د. حمدي السكوت، د.مارسدن جونز، ط: القاهرة ١٩٨١، ص٩٣.

(٦) ينظر: المصدر نفسه، ص٩٤.

(٧) ينظر: المصدر نفسه ،و الصفحة نفسها.

(٨) ينظر: المصدر نفسه، والصفحة نفسها.

(٩) ينظر: المصدر نفسه، والصفحة نفسها.

(١٠) ينظر: المصدر نفسه، ص٩٥.

(١١) ينظر: أعلام الأدب المعاصر في مصر، ج٤، أحمد أمين، د. حمدي السكوت، د.مارسدن جونز، ط: القاهرة ١٩٨١، ص٩٤.

(١٢) ينظر: المصدر نفسه، ص٩٥.

(١٣) ينظر: المصدر نفسه، والصفحة نفسها.

(١٤) ينظر: مجلة الرسالة: (د. ط، د.ت)، من العدد السابع الى العدد السادس عشر.

(١٥) ينظر: المصدر نفسه، والعدد السابق نفسه.

(١٦) ينظر: المصدر نفسه، والعدد السابق نفسه.

(١٧) ينظر: المصدر نفسه، والعدد السابق نفسه.

(١٨) ينظر: المصدر نفسه، والعدد السابق نفسه.

(١٩) ينظر: المصدر نفسه، من العدد السابع عشر، والعدد التاسع عشر، والعدد الثامن والخمسون.

(٢٠) ينظر: المصدر نفسه، العدد السابع عشر، والعدد التاسع عشر، والعدد الثامن والخمسون.

(٢١) ينظر: المصدر نفسه، والعدد نفسه.

(٢٢) ينظر: المصدر نفسه، والعدد نفسه.

(٢٣) ينظر: مجلة الرسالة، د. ط، العدد السابع عشر، والعدد التاسع عشر، والعدد الثامن والخمسون.

(٢٤) ينظر: أعلام الأدب المعاصر في مصر، ج٤، أحمد أمين، د. مارسدن جونز، ص٧٥.

(٢٥) ينظر: المقالة العربية تجنيسها، أنواعها، شعريتها، د. فاضل عبود التميمي، د. لطيفة عبد الله الحمادي، ط عمان ، دار مجدلاوي، ط١، ٢٠١٦ ، ص٧١، ٧٢، وينظر: فن المقالة ، د. محمد يوسف نجم، ص٨٦-٨٧.

(٢٦) ينظر: فن المقالة، د. محمد يوسف نجم، ٨٧،ط١ ،دار صادر للطباعة والنشر ،بيروت،لبنان.

(٢٧) فيض الخاطر، ج١، ط٤، ص٧٣.

(٢٨) المصدر نفسه، ج١، ص٧٥-٧٦.

(٢٩) ينظر: محاضرات في فن المقال، د.زكريا علي أحمد ، د. نعيم أمين طلبة، ط ٢٠٠٥، ص٨٤.

(٣٠) فيض الخاطر، ج٢، ص١.

(٣١) المصدر نفسه، ج٢، ص٢.

(٣٢) المصدر نفسه، ج٢، ص٥.

(٣٣)ينظر: فن المقالة، د. محمد يوسف نجم،ص٩٢.

(٣٤) المصدر نفسه، ج٢، ص٩٩-١٠٠.

(٣٥) المصدر نفسه، ج٢، ص١٠٥.

(٣٦) المصدر نفسه، ج٢، ص١٠٥.

(٣٧) ينظر: فن المقالة العربية تجنيسها ، أنواعها، شعريتها، د. فاضل عبود التميمي، د. لطيفة عبد الله الحمادي، ٧١-٧٢.

(٣٨) فيض الخاطر، ج٤، ص٢١٦.

(٣٩) المصدر نفسه، ج٤، والصفحة نفسها.

([٤٠]) ينظر: فن المقالة العربية تجنيسها، أناوعها، شعريتها، د.فاضل عبود التميمي، د.لطيفة عبد الله الحمادي، ص٥٦-٥٨.

([٤١]) ينظر: فن المقالة، د. محمد يوسف نجم، ص٩٦.

([٤٢]) فيض الخاطر، ج٢، ص١٩٧.

([٤٣]) ينظر: فن المقالة، د.محمد يوسف نجم، ص٩٧.

([٤٤]) ينظر: المصدر السابق نفسه، والصفحة نفسها.

مصادر البحث وموارده :

اولاً: الكتب

١- أعلام الأدب المعاصر في مصر، ج٤، أحمد أمين، د. حمدي السكوت، د. ما رسدن جونز، دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبناني (القاهرة: ١٩٨١).

٢- أحمد أمين بقلمه وقلم أصدقائه، بمناسبة الذكرى الأولى لوفاته، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر (القاهرة: ١٩٥٥).

٣- فن المقالة (أصول نظرية وتطبيقات) صالح أبو إصبع، محمد عبيد الله، ط٢٠٠٨، د.ت.

٤- فن المقالة العربية، أنواعها. شعريتها، د. فاضل عبود التميمي، د. لطيفة عبد الله الحمادي، دار مجدولاي ،عمان - الأردن،ط٢٠١٦،١.

٥- فن المقالة، محمد يوسف نجم، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٦.

٦- محاضرات في فن المقال، د.زكريا علي أحمد، د.نعيم أمين طلبة، جامعة عين شمس، كلية الألسن، رقم الإيداع ٢٠٠٥/٧١٥٩، دار الهاني للطباعة والنشر.

٧- من الذي سرق النار (خطرات في النقد والأدب)، د. إحسان عباس، جمعتها وقدمت لها: د. وداد القاضي، (د. ط، د.ت).

ثانياً: المقالات والدوريات .

١. مجلة الرسالة، أحمد حسن الزيّات، (د. ط، د.ت).

٢. فيض الخاطر، ج١، ط٣، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر (١٣٧٢-١٩٥٣م).

٣. فيض الخاطر ، ج٢، ط٤، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٥٦.

٤. فيض الخاطر: ج٤، ط٤، مكبتة النهضة المصرية، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٥٦.